

برنامج الإبتعاث وقدر الضبط عبدالعزیز مبروك الصحفي



بالنظر إلى تاريخنا الإسلامي القديم نجد الكثير من النماذج التي صبرت وسافرت وتنقلت في أوقات كان فيها الترحال والإنتقال من بلد إلى آخر يعتبر ضرباً من ضروب الخيال ومخاطرة ما بعدها مخاطرة ، وأما في مملكتنا الحبيبة يكفي ما كنا نسمعه من أجدادنا عن المشقة التي كان يتكبدها الإنسان لكسب العيش وكم من الناس سافر من مكان إلى آخر في طلب شخص يقرأ له رسالةً جاءت من عزيز ، ثم فتح الله علينا أبواب الخير وأنعم علينا بالرخاء وبقيادة حكماء يسعون لما فيه المصلحة العامة على الرغم مما يواجهونه من تحديات داخلية وخارجية ، فنسأل الله لهم ولنا التوفيق والسداد.

ومن المشاريع التي واجهت الكثير من التحديات برنامج خادم الحرمين الشريفين للإبتعاث الخارجي ، وهو البرنامج الذي يعتبر واحداً من أقوى البرامج التعليمية على مستوى العالم والذي على الرغم من أهميته والجرأة المتخذة في تنفيذه والمصاعب الكبيرة التي تواجه القائمين عليه إلا أنه لا زال يسير بخطى ثابتة وكذلك يواجه الإنتقادات سلباً وإيجاباً ، فهل يعني ذلك أن نتوقف عند هذا الحد من الإنجازات التي وصلنا إليها.

من وجهة نظري أرى أن البرنامج فريد من نوعه وبمخرجات رائعة ، ففي الإبتعاث إكتساب معرفة وعلم وإحتكاك بشعوب ليست من بلد الإبتعاث فحسب بل من دول مختلفة، وفيه يمر الطالب أو الطالبة بظروف قد تكون أحياناً في غاية الصعوبة وخاصة لمن هم قليلي الخبرة ، فتكون تلك الفترة هي المحك الحقيقي لإختبار إيمانهم ، وفحص قدراتهم ومدى إصرارهم على بلوغ أهدافهم ، وهي مرحلة يمر بها جميع المبتعثين تقريباً بما فيها من سهر وتحضير وتعلم لغة جديدة ، وطرق تعلم مختلفة وجديدة ، كل ذلك يتم في مجتمع بثقافات مختلفة ، يصحبها الإعتماد على الذات في توفير السكن ، والسيارة ، ومراجعة الأطباء ، وتعلم الكثير من الأنظمة في بلد الإبتعاث بدأً من أنظمة السير ، ومروراً بتسديد الفواتير وإبرام عقود إيجار المسكن ، والسيارة ، والأجهزة ، والأثاث ، أمور كثيرة تجعله وكأنه في مرحلة صهر ليتم تشكيلة بطريقة جديدة في بيئة تختلف عن بيئته مع إحتفاظه بجوهره ، وهذه المرحلة هي التي تؤدي إلى سرعة النضج والإعتماد على الذات بعد الله ، حيث أن الضغوط هي التي تسرع النضج وتخرج المواهب والصفات الحسنة المكنونة ، مثله تماماً مثل نضج الطبخ في قدر الضبط حيث تختصر الزمن وإستهلاك الغاز أو الكهرباء ، وهذا لا يعني بأن الطبخة سيمكن إتقانها من المرة الأولى ، وذلك أيضاً ما على المبتعث أن يتوقعه إذ مطلوب منه في بعض الأحيان المحاولة والتكرار والصبر لكسب المعرفة والحصول على أفضل النتائج.

إلا أن رحلة الإبتعاث ليست بالقصيرة ولن تكون تماماً كلها مثل قدر الضبط وإنما سيمر بفترات من الراحة والطمأنينة والسعادة وذلك خلال الإنجازات التي سيخوض بها ويكافئ نفسه عليها ، ومع هذا فكل مبتعث عليه أن يتوقع كل ما لا يمكن توقعه من مسؤوليات وأن يجهز نفسه لمرحلة تحتاج منه أن ينسى مؤقتاً ما كان متعوداً عليه من توفر الخدمات بسهولة بين يديه ، ويستعد لأن يتقصد شتى أنواع الشخصيات ويمارس مختلف المهن إذ أنه سيكون هو المخطط لحياته ، وماسك الدفاتر، والمحاسب القانوني ، ومدنوب المشتريات ، والسائق ، والخادم ، والطباخ ، والمنظف لمسكنه بأكمله وهو الذي يتكفل بنقل النفايات إلى مقرها وهو الذي ينظف مكانه في المطعم أحياناً ، وقد يصل الحد إلى تنظيم دورات المياه وكذلك تنظيف مجلسة وقت المغادرة في الحدائق العامة عند التنزه ، وكل هذه الأمور ستكون في المرحلة الأولى غريبة عليه نوعاً ما ، وإنما مع مرور الوقت ستكون طبيعية جداً.

أهم ما في ذلك كله هو التحصيل العلمي الجاد ، والتركيز على كل ما هو جديد في عالم العلم والمعرفة من تقنيات تعليم ودراسات وأبحاث وكتب ذات أفكار حديثة في مجاله ، إذ أن عليه مسؤولية كبيرة في نقل كل ما هو مفيد ونافع إلى بلده ونشره بين أفراد مجتمعه.

هذه عجالة سريعة عما يمر بالمبتعث ، والتي تناولتها بإسهاب أكثر في رسائل مبتعث ، داعياً الله أن ينفعني وينفع الجميع بها ويوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه.